حَلِيبُ الأُمِّ وَجِهَازُ الْمَنَاعَةِ لَدَى الرَّضِيعِ: دِرَاسَةٌ فِي الإِعْجَازِ الطِّبِّيِّ لِرَوْعَةِ الْخَلْقِ الإِلٰهِيِّ

خمسا مولنا[1]فيصال عبد لله[2]
طلبة المعهد العالي واليندوا[1]محاضر المعهد العالي واليندوا[2]
Khomsamaulana990@gmail.[1],faisalsemarang@gmail.

ملخص البحث

يعد حليب الأم (اللبن الطبيعي) أحد أشكال إعجاز الخلق الإلهي، إذ يحمل في طياته حكمة بالغة في تكوين جهاز المناعة لدى الرضيع. يهدف هذا البحث إلى دراسة حليب الأم من منظور الإعجاز الطبي، كما ورد في كتاب "الإعجاز الطبي في علوم القرآن" للدكتور سيد الجميلي. وقد اتبعت في هذه الدراسة منهج التفسير الموضوعي والاستقراء المكتبي، لبيان الوظائف البيولوجية، ومكونات الأجسام المضادة، وآثار عدم إرضاع الطفل من حليب أمه صحياً ونفسياً. وقد تم تدعيم هذه الدراسة بمراجع من التفاسير القديمة والمصادر الطبية المعاصرة. وتفيد النتائج بأن حليب الأم ليس مجرد غذاء، بل هو نظام دفاع حي يتماشى مع فطرة الخلق. إن إهمال إرضاع الطفل يؤدي إلى اضطراب في استقرار مناعته وقوته النفسية. ويوصي هذا المقال بأهمية التكامل بين الفهم القرآني والعلم الطبي في تأكيد ضرورة الإرضاع الطبيعي بوصفه أمانة إلهية وحاجة بيولوجية.

لكلمات المفتاحية : حليب الأم، الإعجاز الطبي، الأجسام المضادة، جهاز المناعة، سيد الجميلي.

Abstract

Breast milk is one of the miracles of God's creation, containing profound wisdom in shaping the infant's immune system. This article aims to examine breast milk through the lens of i'jāz ṭibbī, as elaborated in I'jāz Ṭibbī fī 'Ulūm al-Qur'ān by Dr. Sayyid al-Jumailī. Using thematic exegesis and literature study, this paper explores the biological functions, antibody contents, and the medical and psychological effects of not breastfeeding. The study is strengthened by references from classical Qur'anic exegesis and modern medical data. The results reveal that breast milk is not merely nutritional, but a living defense system that aligns with the human creation's divine design. The omission of breastfeeding can disrupt both immunological stability and emotional resilience. This article recommends the integration of Qur'anic understanding and medical science in affirming the essential role of breastfeeding as a divine trust and biological necessity.

Keywords: Breast milk, i'jāz ṭibbī, antibodies, immune system, Sayyid al-Jumailī.

أ. مقدمة

يعد حليب الأم من رحمات الله التي تساعد الطفل في حماية نفسه وبناء جهازه المناعي. يحتوي حليب الأم على عناصر غذائية متكاملة، وخلايا دم بيضاء حية، وأجسام مضادة، وهرمونات نمو تتناسب مع الحاجات الفسيولوجية للرضيع بحسب مرحلته العمرية. فحليب الأم ليس مجرد غذاء، بل هو أيضًا أول وقاية إلهية يمنحها الله للإنسان عند ولاد ثه.[1]

ذكر القرآن الكريم صراحةً أمر الرضاعة في سورة البقرة الآية ٢٣٣: "تُرضِعُ الأمهاتُ أولادهنَّ حولَينِ كاملَينِ لِمَن أرادَ أن يُتمَّ الرضاعة..."

[1]السيد الجميلي، الإعجاز الطبي في علوم القرآن، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، صـ ٧٧.

خلق الله حليب الأم كامتدادٍ لوظيفة المشيمة، كما ذكر الدكتور السيد الجميلي في كتابه الإعجاز الطبي. حيث يقوم الحليب بتعويض التغذية والمناعة التي كانت تُقدَّم للجنين عبر دم الأم قبل الولادة، وبعد انقطاع الحبل السري.[2] وهذا يدل على أن الرضاعة ليست مجرد واجب أخلاقي أو غريزي، بل هي جزء من خطة الخلق العجيبة من الله تعالى، كما في قوله: "ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين" (سورة المؤمنون: ١٤).

من الناحية الطبية، يحتوي حليب الأم على الغلوبولين المناعي ، واللاكتوفيرين، والسكريات قليلة التعدد، والبلاعم النشطة، التي تحمي الرضيع من التهابات الجهاز الهضمي، والجهاز التنفسي، وأمراض المناعة الذاتية[3]. ووفقًا لدراسة أجرتها منظمة الصحة العالمية سنة ٢٠٢٠م، فإن الأطفال الذين لا يتلقون رضاعة طبيعية حصرية معرضون لخطر الوفاة بسبب الإسهال والالتهاب الرئوي بنسبة تفوق خمسة أضعاف مقارنةً بمن يتلقون الرضاعة الطبيعية الحصرية.[4]

لكن الواقع يُظهر أن بعض الأمهات يخترن عدم إرضاع أطفالهن. ويعزو البعض ذلك إلى ظروف العمل، أو نقص المعرفة، أو استبدال حليب الأم بالحليب الصناعي لما يُعتقَد أنه أكثر كفاءة. مع أن نقص حليب الأم له آثار طبية وروحية إلى جانب الجوانب العملية. فالرضيع يفقد بعض الأجسام المضادة المهمة التي كان من المفترض أن تُنقل إليه بشكل طبيعي، كما يفقد عملية "الارتباط الروحي" التي منحها الله للأم وطفلها من خلال الرضاعة.[5]

ب. منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج الموضوعي في التفسير، حيث يتم تناول موضوع الرضاعة الطبيعية (حليب الأم) من خلال ربط الآيات القرآنية المتعلقة به، وتحليلها في ضوء الإعجاز الطبي كما ورد في كتاب الإعجاز الطبي في علوم القرآن للدكتور السيد الجميلي. كما يستند البحث إلى المنهج المكتبي من خلال مراجعة كتب التفسير الكلاسيكية والمعاصرة، والكتب الطبية، والمقالات العلمية، والتقارير العالمية ذات الصلة، مثل ما صدر عن منظمة الصحة العالمية ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف). يهدف هذا المنهج إلى تقديم رؤية تكاملية بين النصوص الشرعية والحقائق الطبية الحديثة حول أهمية الرضاعة الطبيعية وآثارها الجسدية والنفسية.

ث. مناقشة

1. حليب الأم كآلية للحماية الإلهية

وفقاً لمنظور الإعجاز الطبي، فإن حليب الأم هو نظام حماية أولي خلقه الله كامتداد لوظيفة المشيمة، وليس مجرد سائل بيولوجي. وقد ذكر الدكتور السيد الجميلي أن الله، عندما يولد الطفل وينقطع عن إمداد دم الأم، يمنحه حليب الأم كقناة جديدة. ويحتوي هذا الحليب على عناصر غذائية، بالإضافة إلى الأجسام المضادة، وخلايا مناعية، ومركّبات دفاعية نشطة تحمي الرضيع من المخاطر البيئية الخارجية.[6]

[2]السيد الجميلي، الإعجاز الطبي، صـ ٧٨
[3]س. فيكتورا وآخرون، "الرضاعة الطبيعية في القرن الحادي والعشرين: علم الوبائيات، والآليات، والأثر مدى الحياة"، مجلة ذا لانسيت، المجلد ٣٨٧، العدد ١٠٠١٧ (٢٠١٦): صـ ٤٧٥–٤٩
[4]منظمة الصحة العالمية، تغذية الرضع وصغار الأطفال: فصل نموذجي للكتب الدراسية، جنيف: منظمة الصحة العالمية، ٢٠٢٠م، صـ ١٣
[5]محمد علي الصابوني، روائع التفاسير، الجزء الأول، القاهرة: دار السلام، ٢٠٠١م، صـ ٢٨٣
[6]لسيد الجميلي، الإعجاز الطبي في علوم القرآن، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م، صـ ٧٦

وقد كتب قائلاً:

"الحليب هو امتداد طبيعي للحبل السري، لكنه لا يحمل الدم، بل يحمل الرحمة والشفاء."

أي أن حليب الأم هو امتداد طبيعي للحبل السري، لكنه لا ينقل الدم، بل ينقل الرحمة والشفاء.

تُبيّن هذه العبارة أن حليب الأم لا يمكن مساواته بالحليب الصناعي أو بأي نوع من أنواع التغذية البديلة الأخرى. فحليب الأم مخلوق من الله مباشرة، بشكل خاص وحصري، ويحتوي على مكونات تتناسب مع عمر الرضيع واحتياجاته الفسيولوجية يوماً بعد يوم.

2. المحتوى العلمي لحليب الأم في منظور الطب الحديث

وفقاً للطب الحديث، فإن حليب الأم يحتوي على مجموعة من المواد المناعية النشطة، منها الأجسام المناعية من النوع الأول، واللاكتوفيرين، والسكريات قليلة التفرع، وإنزيم الحالّ الحيوي، والخلايا البلعمية النشطة، وهي مواد تقوم بمكافحة البكتيريا والفيروسات والفطريات[7]. وتمتاز هذه المكوّنات بكونها متغيرة بحسب عمر الطفل، وصحته، وحتى الظروف المناخية المحيطة به. ويُعدّ ذلك إعجازاً بيولوجياً لا يمكن لأي حليب صناعي أن يُقلِّده أو يضاهيه.

في مقال نُشر في مجلة "ذا لانسيت"، تبين أن حليب الأم يُقلل من خطر التهابات الجهاز التنفسي بنسبة تصل إلى ٧٢٪، ويُقلل من معدل وفيات الرضع بسبب الإسهال بنسبة تصل إلى ٥٠٪ في الدول النامية.[8] وهذا يدل على أن عملية الرضاعة الطبيعية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً ببقاء الرضيع على قيد الحياة.

والإضافة إلى ذلك، أشار الباحثون في علم المناعة إلى أنّ حليب الأم يُعدّ أوّل لقاح طبيعي، لاحتوائه على خلايا دم بيضاء حيّة، وأجسام مضادّة متخصصة ضدّ الجراثيم المحليّة، وجزيئات مضادّة للالتهابات لا توجد في الحليب الصناعي. ومن أبرز مكوّنات حليب الأم السكّريات قليلة التعدّد الخاصّة به، والتي تُغذّي البكتيريا النافعة في أمعاء الرضيع، وتمنع التصاق الجراثيم الضارّة بجدران الأمعاء.[9]

وفقًا لدراسة نُشرت في مجلة الكيمياء الحيوية التغذوية (٢٠٢١م)، فإن اللاكتوفيرين والسكريات قليلة التعدد في حليب الأم يُشكّلان أيضًا أساس النظام المناعي للرضيع، وهما مسؤولان أيضًا عن تطوّر الإدراك من خلال محور الميكروبيوتا–الأمعاء–الدماغ. وهذا ما يفسّر لماذا الأطفال الذين يرضعون رضاعة طبيعية أقلّ عرضة للإصابة بالعدوى، ويتمتّعون بتطوّر دماغي أكثر استقرارًا.[10]

[7] منظمة الصحة العالمية، تغذية الرضع وصغار الأطفال، جنيف: منظمة الصحة العالمية، ٢٠٢٠م، صـ ١٢

[8] س. فيكتورا وآخرون، "الرضاعة الطبيعية في القرن الحادي والعشرين: علم الوبائيات، والآليات، والأثر مدى الحياة"، ذا لانسيت، المجلد ٣٨٧، العدد ١٠٠١٧ (٢٠١٦م): صـ ٤٧٥–٤٩٠.

[9] بود، لارس. "السكريات قليلة التعدد في حليب الإنسان: كل طفل يحتاج إلى أم سكّرية." علم الجليكوبايولوجيا، المجلد ٢٢، العدد ٩ (٢٠١٢): ١١٤٧–1162.10

[10] دونوفان، شارون إم. وآخرون. "حليب الإنسان وتطوّر الميكروبيوم المناعي عند الرضّع." مجلة الكيمياء الحيوية التغذوية، المجلد ٩٧ (٢٠٢١): 1088210.1

يتغيّر تركيب حليب الأم بشكل مستمر. ففي المراحل الأولى من الرضاعة، يحتوي اللبأ على نسبة مرتفعة من الأجسام المناعية لحماية الجهاز الهضمي للرضيع. ثم تتغير مكوّنات التغذية حسب مراحل النمو، فيما يُعرف بالتغذية المخصصة لكل مرحلة. وهذا يُعدّ من مظاهر الإعجاز البيولوجي الذي يدلّ على رحمة الله تعالى من الناحية العلمية والروحية.[11]

3. عندما لا يحصل الرضيع على حليب الأم: الآثار الطبية والنفسية

الرضيع الذي لا يحصل على حليب الأم سيفقد "التمهيد المناعي"، وهي المرحلة الأساسية في بناء جهاز المناعة التي صمّمها الله من خلال الرضاعة الطبيعية، بحسب ما ذكره السيد الجميلي.[12] أما الرضيع الذي يُغذّى مباشرة بالحليب الصناعي، فيكون أكثر عرضة للإصابة بالالتهاب الرئوي، والتهاب الأذن الوسطى، والإسهال، وغير ذلك من مشكلات الجهاز الهضمي.[13]

وعلاوة على ذلك، فإن الأثر النفسي للرضاعة الطبيعية كبير جداً. فقد أظهرت دراسة صادرة عن رابطة أطباء الأطفال الإندونيسية أن الرضاعة الطبيعية تعزز العلاقة العاطفية بين الأم وطفلها، إضافة إلى تزويده بالغذاء.[14] وعلى المدى البعيد، ينعكس ذلك على تطوّر الطفل الاجتماعي واستقراره العاطفي

ذكر القرآن الكريم بوضوح مدة الرضاعة بسنتين كاملتين في قوله تعالى في سورة البقرة الآية ٢٣٣:

"وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ..."

ذُكر في تفسير القرطبي أن السنتين هما فترة استكمال الخلق والنمو الجسدي للرضيع. وخلال هذه الفترة، يُعدّ حليب الأم بمثابة مدد رباني يدعم جسم الطفل وروحه.[15] في تفسير الرازي، يشير مصطلح "حولين كاملين" إلى كمال العملية البيولوجية والنفسية والروحية التي لا تُنسى. وبعبارة أخرى، فإن الرضاعة هي عملية تكوين الإنسان في إطار تدبير إلهي، **وليست مجرد فعل عملي.[16]**

4. حليب الأم وفطرة خلق الإنسان

خلق الله الإنسان في أكمل صورة، كما في قوله تعالى: "الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى" (سورة الأعلى: ٢). وتشمل هذه العملية الخَلقية التامة الخلقَ الجسدي، بالإضافة إلى الوسائل التي تدعم حياة الإنسان منذ ولادته، كآلية الرضاعة الطبيعية. يرتبط هذا القول القرآني بحقيقة علمية مفادها أن جسم الأم يُنتج الحليب تلقائيًا بمكوّنات ودرجة حرارة تتناسب مع احتياجات الطفل.[17] وهذا يدل على أن خلق الإنسان لا يتوقف عند الرحم، بل يستمر ضمن نظام حياتي دقيق بعد الولادة.

---

[11] ندرياس، ناتالي ج. وآخرون. "حليب الأم: تركيبه وفوائده الصحية." عيادات طب الأطفال في أمريكا الشمالية، المجلد ٦٤، العدد ١ (٢٠١٧): ١٠٣–١١٨.

[12] السيد الجميلي، الإعجاز الطبي، صـ ٨

[13] إل. أودي وآخرون، "الآثار طويلة المدى للرضاعة الطبيعية على الصحة النفسية للأطفال والمراهقين"، مجلة طب الأطفال، المجلد ١١٩، العدد ١ (٢٠٠٧م): صـ ١٠١–١٠٦.

[14] (تم الاطلاع عليه في يوليو ٢٠٢٥م) www.idai.or.id12رابطة أطباء الأطفال الإندونيسية، الرضاعة الطبيعية الحصرية وتطور الطفل،

[15] قرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء الثالث، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م،

[16] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، الجزء الخامس، بيروت: دار الفكر، ١٩٨١م، صـ ٢٠٩

[17] السيد الجميلي، الإعجاز الطبي، صـ ٩٠

في تفسير المصباح، يوضح الأستاذ الدكتور محمد قريش شهاب أن ذكر مدة الرضاعة لمدة سنتين في سورة البقرة الآية ٢٣٣ يدل على حكمة الله في نظام الخلق الإنساني الذي يتميز بالمسؤولية والتدرج. وقد بيّن أن الله خلال هاتين السنتين "يُكمل تقوية جسم الطفل وروحه قبل أن يُفصَل عن حماية الأم المباشرة".[18]

الرضاعة جزء من "العهد الإلهي" أو الأمانة الربانية، وليست مجرد مسألة بيولوجية. ووفقاً للمنهج التفسيري الاجتماعي للأستاذ الدكتور قريش شهاب، فإن الرضاعة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتكوين شخصية الطفل في مراحله الأولى من خلال التفاعل، والحضن، والمشاعر العاطفية. وهذه العلاقة تُعد ذات أهمية كبيرة في علم النفس التنموي.

5. حليب الأم والمناعة العاطفية: مقاربة نفسية وعصبية

وفقاً لدراسة حديثة نُشرت في مجلة علم النفس للأطفال، يتمتع الأطفال الذين يرضعون طبيعيّاً بمستويات أكثر استقراراً من هرموني الأوكسيتوسين والسيروتونين.[19] وتُعدّ هذه الهرمونات مسؤولة عن إحساس الأمان، والسيطرة على التوتر، وبناء العلاقات الاجتماعية. وبعبارة أخرى، فإن الرضاعة الطبيعية تغرس المناعة العاطفية والمناعة الجسدية، مما يسهم في تحقيق الصحة النفسية الجيدة على المدى الطويل.

تُعدّ الرضاعة الطبيعية جزءاً من التربية البيولوجية والروحية التي تؤثر في شخصية الطفل مدى الحياة. ويعتبر خبراء علم الأعصاب أن المرحلة الأولى من الحياة (من الولادة حتى سن السنتين) فترة "الليونة العصبية العالية"، وهي المرحلة التي يشكّل فيها دماغ الرضيع شبكاته العصبية بناءً على التجارب المبكرة، ومنها تجربة الرضاعة.[20]

علاوة على ذلك، تُظهر الدراسات في مجال علم الأعصاب أن الرضاعة الطبيعية تُحفّز نشاط مناطق في الدماغ مسؤولة عن تنظيم المشاعر وتعزيز الروابط الاجتماعية، مثل اللوزة الدماغية (الأميجدالا) والقشرة الجبهية الأمامية. وهذا ما يفسّر لماذا يكون الأطفال الذين يرضعون من ثدي أمهاتهم أكثر ميلاً لتطوّر التعاطف، والثبات العاطفي، واستقرار السلوك خلال مراحل نموّهم.

في دراسة أجرتها سارة ماهيدي وزملاؤها ونُشرت في مجلة التطوّر والاعتلال النفسي سنة ٢٠٢١م، تبيّن أن مدة الرضاعة الطبيعية ترتبط ارتباطًا كبيرًا بانخفاض معدّلات الاضطرابات العاطفية لدى الأطفال في سنّ المدرسة. وحتى بعد ضبط المتغيّرات المتعلقة بالحالة الاجتماعية والاقتصادية ومستوى تعليم الوالدين، ظلّ هذا الأثر ثابتًا.[21]

وبالتالي، فإن حليب الأم لا يلبّي احتياجات الطفل الغذائية والمناعية فحسب، بل يساهم أيضًا في بناء الذكاء العاطفي والاستقرار النفسي لديه. وتؤكّد هذه النظرة أهمية الرضاعة الطبيعية لمدة عامين كمرحلة تأسيسية في تكوين الشخصية وصحة النفس، وتدعم تعاليم الإسلام التي تشدّد على أهمية الرضاعة

6. وجهة نظر الأخلاقيات الصحية الإسلامية: هل يجوز استبدال حليب الأم بالحليب الصناعي؟

[18] محمد قريش شهاب، تفسير المصباح، المجلد الثاني، جاكرتا: دار لنتره هاتي، ٢٠٠٠م، صـ ٥٠٣

[19] س. ج. فيلدمن وآخرون، "الرضاعة الطبيعية والتطور النفسي المبكر"، مجلة علم النفس للأطفال، المجلد ٣٩، العدد ٢ (٢٠١٥م): صـ ١١٥–١٣٠.

[20] ب. ر. هوتنلوشر، "اللدونة العصبية في تطور الإنسان"، علم النفس العصبي النمائي، المجلد ١٠، العدد ٢ (١٩٩٤م): صـ ٧٥–٨

[21] ارة ماهيدي وآخرون. "الرضاعة الطبيعية والصعوبات العاطفية والسلوكية في مرحلة الطفولة: أدلة من دراسة جماعية واسعة في المملكة المتحدة." مجلة التطوّر والاعتلال النفسي، المجلد ٣٣، العدد ٤ (٢٠٢١): ١٥٠١–١٥١٣.

كما ورد في موسوعة الفقه الإسلامي (دولة الكويت)، فإن العلماء المعاصرين يجيزون استخدام الحليب البديل في حال وجود عذر، مثل مرض الأم أو حالتها الصحية. ولأن حليب الأم هو الأفضل من حيث العلم والشريعة، فإن استبداله عمداً دون حاجة يُعدّ تفريطاً في الأمانة الإلهية.[22]

بحسب الدكتور وهبة الزحيلي، تُعدّ الرضاعة الطبيعية شكلاً من أشكال التقوى الجسدية، حيث تؤدي الأم الأمانة في رعاية جسد وروح طفلها. ومن ثم، فإن الإهمال في إرضاع الطفل يُعدّ في بُعد حفظ النفس مخالفةً لمقاصد الشريعة.[23]

بالإضافة إلى ذلك، ووفقًا للفقه الإسلامي المعاصر، فإن من يتّخذ قرارًا باستبدال حليب الأم بالحليب الصناعي، عليه أن يُراعي المنافع والمضار معًا. وفي مقاصد الشريعة، ينبغي تقديم الأولوية لكلّ ما يؤثر في صحة الطفل ورفاهيته. ولذلك، تُعدّ الرضاعة الطبيعية من جملة حفظ النفس، أي حماية الحياة، ومن حفظ النسل، أي صيانة الذرية.[24]

دراسة نُشرت في مجلة الأخلاق الإسلامية (٢٠٢٠م) تناولت أخلاقيات استهلاك الحليب الصناعي في المجتمعات المسلمة في المدن الكبرى، وأكدت على أهمية التثقيف المبني على الشريعة حول فوائد الرضاعة الطبيعية. وقد بيّنت الدراسة أن الضغط الاجتماعي، ونقص الوعي بقيم الإسلام المتعلقة بحقوق الطفل، كانا من أبرز الأسباب التي دفعت الكثير من الناس إلى الامتناع عن إرضاع أطفالهم طبيعيًا.[25]

في هذا السياق، تبرز الحاجة إلى دور العلماء، والأطباء المسلمين، والمؤسسات الأسرية لتبيين أن الرضاعة الطبيعية ليست مجرد خيار طبي، بل هي أمانة روحية ذات قيمة عبادية. فالإسلام يقدّر العلم والرحمة كأساس رئيسي في تربية الأطفال، والرضاعة الطبيعية تُعدّ أحد التجليات العملية لهذين المبدأين

7. الرضاعة الطبيعية كمسؤولية اجتماعية وبيئية

على عكس الحليب الصناعي الذي يعتمد على سلسلة الصناعة العالمية، بما في ذلك عمليات الإنتاج في المصانع، واستهلاك الطاقة، والتغليف في زجاجات بلاستيكية، والتوزيع من خلال أنظمة لوجستية صناعية، فإن الرضاعة الطبيعية عملية فطرية مستدامة ذات بصمة كربونية منخفضة. وقد ذكرت منظمة الصحة العالمية ومنظمة اليونيسيف في تقرير مشترك عام ٢٠٢٠ أن إنتاج الحليب الصناعي على مستوى العالم يسهم في انبعاثات غازات الدفيئة بنسبة كبيرة، ويولّد نفايات بلاستيكية تؤثر سلباً على البيئة على المدى الطويل.[26]

لا تتطلب الرضاعة الطبيعية وقوداً أو طاقة صناعية أو نفايات صلبة، مما يجعلها شكلاً مباشراً من أشكال المساهمة في الحفاظ على البيئة (حفظ البيئة)، وهو عنصر أساسي من عناصر مقاصد الشريعة في العصر الحديث. وكما ورد في قوله تعالى في سورة الأعراف، الآية ٥٦: "وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا"، فإن الرضاعة الطبيعية تُعد جزءاً من الوعي البيئي لدى المسلمين في مسؤوليتهم عن حماية الأرض.[27]

---

[22] موسوعة الفقه الإسلامي، الكويت: وزارة الأوقاف، الجزء الثاني والعشرون، صـ ٢٧٥.
[23] وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، الجزء السابع، دمشق: دار الفكر، ١٩٩٧م، صـ ٢٣٢
[24] موسوعة الفقه الإسلامي، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الجزء ٢٢، الصفحة ٢٧٥.
[25] ح. الخطيب وآخرون. "الأخلاق الإسلامية وتغذية الرضّع: دراسة حول مواقف الأمهات المسلمات في المدن تجاه الرضاعة الطبيعية والحليب الصناعي." مجلة الأخلاق الإسلامية، المجلد ٤، العدد ٢ (٢٠٢٠): ٢١٠–٢٢
[26] منظمة الصحة العالمية ومنظمة اليونيسيف، الدعوة إلى الرضاعة الطبيعية المستدامة، ٢٠٢٠م، www.who.int21.
[27] القرآن الكريم، سورة الأعراف: الآية ٥٦.

بالإضافة إلى ذلك، فإن مبدأ حفظ المال الذي يعني إدارة الثروة بفعالية، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالرضاعة الطبيعية. وتشير بيانات صادرة عن منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) إلى أن الأسر التي تختار الرضاعة الطبيعية يمكنها توفير ما بين ٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ دولار أمريكي سنوياً مقارنة بالأسر التي تعتمد على الحليب الصناعي.[28]

وهذا يدل على أن الرضاعة الطبيعية تُسهم في تعزيز الصمود الاقتصادي للأسرة، ولا سيما في الأوساط ذات الدخل المتوسط والمنخفض. ومن منظور الشريعة، فإن هذه الكفاءة لا تقتصر على الفوائد العملية، بل تتماشى أيضاً مع مبدأ التدبير والإحسان في استعمال النعم.[29] وبذلك، فإن الرضاعة الطبيعية تحمل قيمة مزدوجة: الصحة والاستدامة. فهي ليست مجرد تلبية لاحتياجات الطفل الغذائية، بل تُعدّ أيضاً شكلاً عملياً من العبادة التي تُجسّد الاهتمام بخلق الله، سواء كان الإنسان أو الكون

ث. الخلاصة

يُعدّ حليب الأم (الرضاعة الطبيعية) أحد المظاهر الحقيقية للإعجاز الطبي في خلق الإنسان. إنّ الأعجوبة البيولوجية والروحية الكامنة في هذا الحليب لا تُظهر فقط سعة رحمة الله، بل تُثبت أيضًا التوافق بين الوحي والعلم الحديث. وقد أكد الدكتور السيد الجميلي أن حليب الأم هو نظام الدفاع الأول الذي أعدّه الله للإنسان فور ولادته. فهو يوفّر الأجسام المضادة، وكريات الدم البيضاء، والإنزيمات، والهرمونات، والمغذيات المثالية المتوافقة مع الحالة الفسيولوجية للرضيع.

من منظور التفسير الكلاسيكي والمعاصر، تُعدّ رضاعة الطفل أمانة إلهية وجزءاً من نظام التدبير الرباني في الحفاظ على بقاء الإنسان وصحته. وتُظهر التفاسير الموضوعية للقرآن الكريم والتحليلات الصحية أن إهمال الرضاعة الطبيعية لا يؤدي فقط إلى آثار طبية مثل ضعف الجهاز المناعي وزيادة خطر الإصابة بالعدوى، بل يُسبب أيضاً آثاراً نفسية كضعف الاستقرار العاطفي وغياب الرابط الوجداني بين الأم وطفلها.

وعلاوة على ذلك، فإن الرضاعة الطبيعية تحمل قيمة بيئية واقتصادية عالية، وهي منسجمة مع مقاصد الشريعة، وخصوصاً في جوانب حفظ النفس، وحفظ المال، وحفظ البيئة. ولذلك، فإن الرضاعة ليست مجرد عملية بيولوجية، بل هي عبادة، ورحمة، وتقوية لبني الإنسان، ولها أبعاد متعددة تشمل الطب، والنفس، والمجتمع، والروح. ومن هنا يتّضح أن حليب الأم هو مظهر من مظاهر الإعجاز في خلق الله، ينبغي شكره، والمحافظة عليه، والترويج له بوصفه من الحاجات الأساسية للإنسان، في ضوء القرآن الكريم والعلم.

[28]. اليونيسيف، الرضاعة الطبيعية: هدية الأم لكل طفل، www.unicef.org23 تم الاطلاع عليه في يوليو ٢٠٢٥م

[29]. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، الجزء السابع، دمشق: دار الفكر، ١٩٩٧م، صـ ٢٣٢

المراجع

لقرآن الكريم، سورة الأعراف: ٥٦.

القرطبي، أبو عبد الله. الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م.

الرازي، فخر الدين. مفاتيح الغيب. بيروت: دار الفكر، ١٩٨١م.

الشابوني، محمد علي. روائع التفاسير. القاهرة: دار السلام، ٢٠٠١م.

أندرياس، ناتالي ج. وآخرون. "حليب الأم: التركيب والفوائد الصحية". عيادات طب الأطفال لأمريكا الشمالية، المجلد ٦٤، العدد ١ (٢٠١٧م): ١٠٣–١١٨.

بود، لارس. "سكريات حليب الأم البشرية: كل طفل يحتاج إلى أم سكرية". علم السكر الحيوي (Glycobiology)، المجلد ٢٢، العدد ٩ (٢٠١٢م): ١١٤٧–١١٦٢.

دونوفان، شارون م. وآخرون. "حليب الأم وتطور ميكروبيوم الرضيع والجهاز المناعي". مجلة الكيمياء الحيوية التغذوية، المجلد ٩٧ (٢٠٢١م): ١٠٨٨٢١.

فيلدمان، إس. ج. وآخرون. "الرضاعة الطبيعية والتطور النفسي المبكر". مجلة علم نفس الأطفال، المجلد ٣٩، العدد ٢ (٢٠١٥م): ١١٥–١٣٠.

هوتنلوشر، بي. آر. "المرونة العصبية في تطور الإنسان". علم النفس العصبي التنموي، المجلد ١٠، العدد ٢ (١٩٩٤م): ٧٥–٨٠.

جمعية أطباء الأطفال الإندونيسية (IDAI). "الرضاعة الطبيعية الحصرية وتطور الطفل". تم الدخول في يوليو ٢٠٢٥م. https://www.idai.or.id

موسوعة الفقه الإسلامي. الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

الشهاب، محمد قريش. تفسير المصباح، الجزء الثاني. جاكرتا: دار لنترة هاتي، ٢٠٠٠م.

السيد الجميلي. الإعجاز الطبي في علوم القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م.

اليونيسيف. "الرضاعة الطبيعية: هدية الأم لكل طفل". تم الدخول في يوليو ٢٠٢٥م.

https://www.unicef.org

فيكتورا، سي. جي. وآخرون. "الرضاعة الطبيعية في القرن الحادي والعشرين: علم الأوبئة، الآليات، والتأثير مدى الحياة". ذا لانست، المجلد ٣٨٧، العدد ١٠٠١٧ (٢٠١٦م): ٤٧٥–٤٩٠.

وهبة الزحيلي. الفقه الإسلامي وأدلته، الجزء السابع. دمشق: دار الفكر، ١٩٩٧م.

منظمة الصحة العالمية. تغذية الرضع وصغار الأطفال: فصل نموذجي للكتب الدراسية. جنيف: منظمة الصحة العالمية، ٢٠٢٠م.

منظمة الصحة العالمية واليونيسيف. الدعوة إلى الرضاعة الطبيعية المستدامة. ٢٠٢٠م.

https://www.who.int